السنة الأولى ماستر
التخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830
المقياس: التحولات الكبرى في غربي البحر المتوسط

المحور الأول:
(النهضة الأوربية ، الكشوفات الجغرافية)

المحاضرة الأولى

أوضاع أوربا والتحولات الكبرى (النهضة الأوربية)

أولا: النهضة الأوربية:

إن كلمة (Renaissance) تعبير حديث بدأ استعماله منذ سنة 1830 ، وتدل الكلمة في معناها الضيق على حركة بعث التراث القديم وإحيائه، أي أنها تعني البعث الجديد. أما في معناها الشامل فهي تعني تحرر العقل الإنساني من قيود العصور الوسطى وشعور الفرد بحريته في التعبير عما يشعر به من أحاسيس وانفعالات. وتعد النهضة الأوربية حركة انتقالية في أوربا بين العصور الوسطى والعصر الحديث، وقد أطلق المؤرخون هذه التسمية على الفترة التي تتوسط العصور الوسطى والعصور الحديثة التي تشمل القرنين 14 و 15 على وجه التقريب.

لقد بدأ عصر النهضة في إيطاليا في أواخر القرن الخامس عشر ، وأسباب طهور عصر النهضة في إيطاليا أولا ثم الانتشار منها إلى بقية أنحاء أوربا فهي عديدة نذكر منها:

1- **إيطاليا موطن الحضارة الرومانية**: شهدت هذه الامبراطورية أوج الحضارة وما مرت به من من نكبات وانتصارات، وخلفت آثار من تماثيل وقصور والوثائق والمخطوطات، والتي عمل علماء النهضة على التنقيب عنها ، وكان الإيطاليون ينظرون إلى هذه المخلفات الحضارية على أنها دليل عظمة وتقدم تميز به أسلافهم، لذا تولد بداخلهم شعور لإحياء هذه الحضارة ولكن بشكل يتماشى مع عصرهم.

2- **الطبيعة السياسية لشبه جزيرة إيطاليا:** كانت شبه جزيرة إيطاليا تضم عدة وحدات سياسية من إمارات وجمهوريات ودوقيات (أي مدن دول) متنافسة، وقد أعطى هذا الوضع لحكام هذه الوحدات السياسية مظهر المنافسة في تشجيع العلماء والأدباء إما لتشجيع العلم

لذاته، وإما لبحث عن المجد الشخصي وحث الفنانين على تخليد أسمائهم. وكانت الكنسية في روما هي الأخرى تجزل العطاء لهولاء الرجال.

3- **الطبيعة الجغرافية لإيطاليا:** تزخر إيطاليا بمناظر طبيعة خلابة ، مما أثر في أحاسيس رجالها ومبدعيها وكذلك أثرت في أقلامهم.

4- **إيطاليا حلقة اتصال:** كانت إيطاليا حلقة اتصال بين الشرق وأوربا الغربية ، فكانت شارك في نقل الحملات الصليبية ، وتقوم بالتجارة مع العرب بصرف النظر عن الحروب مما ساعدها على الاستفادة من علوم العرب إلى حد بعيد ، حيث نقلت عن العرب الدراسات الفلكية والطبية والرياضيات ، إلى دانب ذلك كانت إيطاليا قريبة من القسطنطينة ، فاستفادت من العلماء الإغريق الذي كانوا يحاضرون في مدارسها وإرسال بعثاتها العلمية إلى بيزنطة للاستفادة من العلم الإغريقي.

5- **احتراف إيطاليا التجارة:** اشتغلت المدن الإيطالية بالتجارة ، وقد ساعد ذلك على رفاهية العيش فيها وتوافر المال الذي ساعد العلماء على البحث والتنقيب والتفرغ للعلم دون الاهتمام بالأمور الأخرى.

6- **العناية بمجال التاريخ:** حظي التاريخ باهتمام كبير من رجال عصر النهضة في إيطاليا حيث أن المؤرخين كانوا قديما يعتمدون على الرواة وغيرها من المصادر غير المؤكدة، أما في عصر النهضة فقد نشأت المدارس النقدية وعلى رأسها مدرسة فلورنسا ، وأنتجت هذه المدرسة ‘نتاجا ضخما في المجال التاريخي ، وطبعت كتب هذا العصر بطابع تميز بتحررهم من الموضوعات الدينية والتقاليد البالية والتزموا بالموضوعية مما مهد لعلم حديث في التاريخ.

7- **فن العمارة:** كانت يوجد في شمال أوربا في العصور الوسطى فن معماري لع طابع خاص يعرف بالفن القوطي الذي انتقل فيما بعد إلى إيطاليا، واستفاد الإيطاليون من هذا الفن في بناء الكنائس، إلا أنه في عصر النهضة أدمجت في فن العمارة الخصائص والرسومات الهندسية، وكانت فلورانسا هي مهد هذا التقدم ومنها انتقل إلى بقية أنحاء أيطاليا.

انتقال النهضة إلى دول أوربا:

انتقلت النهضة العلمية إلى دول أوربية أخرى منها فرنسا وانكلترا ثم ألمانيا:

النهضة العلمية في فرنسا: بينما كانت إيطاليا تعيش مظاهر النهضة في القرن 15، كانت فرنسا تعاني من توقف الإنتاج الثقافي، وذلك بسبب الحرب بين انكلترا وفرنسا (حرب المائة سنة)، وانتهت هذه الحرب بتوحيد فرنسا، ولكن فرنسا لم تكد تنتهي من هذه الحرب حتى بدأت الصراعات الداخلية بها بين لويس11 وأمراء الإقطاع. ولما غزا شارل الثامن إيطاليا مابين 1494-1498 ، رأى بها ما لم يكن يتوقعه من النهضة والتقدم، فأراد نقل هذا التراث إلى بلاده ، ومن ثم تسربت طائفة من هذه العلوم إلى فرنسا من إيطاليا. ولكن كان هناك اختلاف واضح بين النظرة الكلاسيكية في إيطاليا عنها في فرنسا، ففي إيطاليا أرادت العقلية

الإيطالية في تشرب الروح الكلاسيكية بكل محتوياتها القديمة دون إضافة أو وإخراجها إلى حيز الوجود، أما النظرة الفرنسية فكانت نظرة مختلفة حيث إنهم كانوا ينظرون إلى الكلاسيكية القديمة بكل تقدير، ولكنهم كانوا يأخذون من القديم ما يوافق أمزجتهم ويضيفون إليه تفكيرهم ونتاجهم العقلي . ونضيق أن فرنسا تفوقت في دراسة القانون الروماني القديم ، حيث استخرجوه وحللوه مع ما يتماشى مع رغبة العصر، ومن رواد هذا المجال جاك كوجاز (Jacques Cojas) الذي تفوق في تفسي القانون الروماني، وكذلك بريسون (Brisson) ذو الدراية الواسعة بمصطلحات القانون المدني.

وتختلف النهضة في فرنسا عن النهضة في إيطاليا وذلك يتجلى في الملاحظات التالية:

1- اتجهت النهضة الفنية المعمارية في فرنسا إلى تشييد المباني العامة كمجالس البلديات والقصور لإظهار جمال المعمار والبناء ، ولم تكن كإيطاليا مقصورة على بناء الكنائس والكاتدرائيات.

2- بالرغم أن النهضة الأدبية في فرنسا كانت تابعة لإيطاليا ، إلا أن الظروف البيئية المحيطة بهذه النهضة في فرنسا لم تتح لها الازدهار إلى درجة ما وصلت إليه في إيطاليا.

3- إن النهضة الأدبية والفنية في فرنسا كانت تواجه صعوبات من مختلف الطبقات، وتضع في طريقها العراقيل، حيث كان لفرنسا طابعها الوطني الذي يلقى أنصارا له كثيرون وخصوما، كذلك فإن كلية اللاهوت في السربون كانت تقاوم الدراسة الأدبية ودراسة القديم.

النهضة العلمية في انكلترا: كانت الظروف المحيطة بعصر النهضة في انكلترا أصعب منها في إيطاليا وفرنسا، ذلك أن انكلترا لم تكد تنتهي من حرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا، 1337 إلى 1453 والتي هزمت فيها دخلت في حرب أهلية ، التي كانت أكثر فظاظة على انكلترا، حيث جرت حرب الوردتين الأهلية على أرض انكليزية، وقد الأذهان، ولم يهتم الانكليز بما كان يحدث في إيطاليا من تقدم علمي.

بدأت النهضة في انكلترا بعد ما استقر الحكم في يد أسرة التيودور، وقد قامت اعتماد على الذين درسوا في إيطاليا مثل وليام ليلي (William Lilly) الذي درس في روما، ووليام غروسين (William Grocyn) الذي تعلم في فلوراسنا، وتوماس ليناكر (Thomas Linacre)، لقد اهتم هؤلاء باليونانية وكانوا أوكسفورد. وزخرت كامبردج بممجموعة من العلماء والأدباء، نذكر منهم أرزم والدي، وتلميذه ريتشارد كروك (Richard Croke)، الذي كان أستاذا للغة اليونانية، وخلفه في هذا الكرسي السير توماس سميث (Thomas Smith). وكان في جامعة كامبردج خمسة تخصصات هي: اللاهوت، القانون المدني، الطبيعة، اللغة العبرية، اللغة اليونانية. وإلى جانب التوجه الأدبي والعلمي للنهضة العلمية في انكلترا، كان فيها اتجاه الإصلاح الديني ، فقد كان أرزم وصديقه كوليت زعماء هذه الحركة، فقد كان كوليت عميدا لكاتدرائية سان بول، الذي أنشأ مدرسة سان بول التي هاجمت الكنيسة رغبة في الإصلاح. وكانت هذه المدرسة نموذجا يحتذى به للمدارس المصلحة فيما بعد.

النهضة العلمية في ألمانيا: اتجهت النهضة العلمية الألمانية اتجاها علميا ودينيا، فلم يقتنع الألمان بالتقليد ولم يقتصروا على الدراسات الإنسانية، وإنما انكبوا على دراسة العلوم التطبيقية ، ولقد واجهت النهضة الألمانية مقاومة عنيفة من كل رجال الدين وبعض رجال العلم. وعلى عكس فرنسا فقد كانت الجامعات الألمانية ترحب بالدراسات الإنسانية ، وأخدلتها في برامجها التعليمية . وعمل رجال الدين والكنيسة على الحد من هذه الدراسات ومن انتشارها، بعدما فشلوا في منعها من دخول الجامعات الألمانية.

أهم نتائج عصرالنهضة:

1- ظهور الفكر الجديد حديث التفكير والآراء، وقضي على التفكير الديني القديم ، وبدأ التفكير الحديث من حيث التجربة والتنقيب للوصول إلى الحقيقة، مثل بترارك الذي بحث في مصادر أرسطو، واطلع على كتب القدماء واعتقد في أن ضوابط التفكير لا يجب أن نركزها في الكتب فقط ولكن يجب أن نضيف إليها التجربة والفكر الحر. وكتاب "ثورة الأفلاك السماوية" لكوبرنيك البولندي، الذي توصل إلى نظرية أن الآرض تدور حول الشمس، عكس النظرية القديمة لبطليموس بأن الشمس هي التي تدور حول الأرض، نشر سنة 1543، وأهدي إلى البابا بول الرابع.

2- الاهتمام بالتربية الجسدية إلى جانب التربية الذهنية ، صاحب هذه النظرية فلتري (Feltre) الذي اهتم بالرياضة كالسباحة وركوب الخيل والتدريبات العسكرية.

3- الاهتمام بالدراسات الإغريقية واللاتينية والعبرية ، حيث رأى رجال ذلك العصر أن هذه الثقافات هي أرقى ما وصل إليه الإنسان، وأن الإنسان لن يصل إلى درجة مرموقة دون دراسة هذه الثقافات .

4- النتائح الهائلة التي خلفتها هذه الفترة في شتى الميادين العلمية من حيث المؤلفات العلمية مثال "ثورة الأفلاك السماوية" لكوبرنيك، وترجمة روكلين وارزم للعهدين القديم والجديد، وما ظهر في الميدان الفني بشتى فروعه.

الصلات الثقافية بين مراكز الحضارة الإسلامية وغرب أوربا:

1- شبه جزيرة أيبيريا: حكم العرب شبه جزيرة أيبيريا ما يقرب من ثمانية قرون، أصبحت خلالها قلعة علم ومنارة للحضارة ، فأصبحت مقرا للمدارس والمعاهد ودور العلم حتى أصبحت مقصد طالب العلم وحينذاك كانت قد ازدهرت بها دراسة الفلسفة والطب والرياضيات بأنواعا والأدب والشعر.

2- صقلية: حكمها العرب مدة تزيد عن قرنين ونصف ونقلوا إليها جوانب الحضارة الإسلامية حتى أصبحت منارة العلم وإشعاع لأوربا، وقصدها طلاب العلم بما في ذلك الأوربيون، وبعد أن سقطت صقلية في يد النورمان لم يحاولوا إزالة الصبغة العربية التي صبغ بها العرب صقلية وإنما حافظوا عليها وعملوا على تقدمها حتى استنفذوا أغراضهم واصطبغت بالحضارة الغربية.

ظهور الدول القومية:

لقد بدأ أول ظهور للدول القومية الحديثة عند مطلع التاريخ الحديث في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر، ويرجع ذلك إلى انطلاق الفكر الإنساني والأوروبي بخاصة نحو الاهتمام بسائر الدراسات والبحوث المتعلقة بحياة الفرد من جميع النواحي، مما جعل الأوروبيين يهدفون إلى المجتمع الذي يكفل لهم الطمأنينة والاستقرار، وباتوا لا يرون ضرورة للاحتفاظ بعالم مسيحي موحد من الناحيتين السياسية والدينية.

ومن ثم، فقد رأت كل جماعة – تسكن إقليماً له حدوده الجغرافية الواضحة، وترجع في أصلها إلى جنس واحد بصفة عامة أو أجناس متقاربة، ثم يتفق أبناؤها في اللغة التي يتفاهمون بها، كما يتفقون في المصالح والأهداف القومية – أن تخلق لنفسها وحدة قومية مستقلة خاصة بها.

كل هذه الأمور دعت إلى قيام الدول القومية الحديثة، إذ رأت هذه الجماعة أنها في حاجة إلى حكم جديد يعني فيه بكل مصالحها المعيشية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعلاقاتها السياسية كافة. وكانت فكرة الإمبراطورية أو الدولة الواسعة هي الفكرة السائدة أثناء العصور الوسطى، حيث كانت هناك إمبراطورية عظيمة الاتساع، كما كان هناك البابا وهو الزعيم الديني الكاثوليكي لغرب أوروبا.

واشتهرت العصور الوسطى بمراحل الصراع المرير بين هاتين القوتين قوة الإمبراطورية وقوة البابوية، فلم تقنع البابوية بتلك السلطة الدينية الواسعة على رعاياها المسيحيين الأوروبيين، بل أخذت تنافس الإمبراطورية في سلطاتها الزمنية. ذلك النظام السياسي لم يكن بطبيعته يخدم مصالح الشعوب الغربية المتفرقة العديدة المتباينة في أجناسها ولغاتها ومصالحها القومية، ولذلك نجد أنه عند مطلع العصور الحديثة نمت الاتجاهات القومية، ونجحت بالتالي بعض هذه الجماعات في تكوين وحدتها القومية.

وكانت البرتغال وإسبانيا أسبق تلك الوحدات السياسية، وكان إتمام الوحدة القومية لهذه الدول الثلاث يرجع إلى أسباب خاصة متعلقة بكل منها، بينما تأخرت شعوب وأقوام أخرى في تحقيق هذه الوحدة. وهذا ما جعلها تكون السباقة للقيام بحركة الكشوف الجغرافية في خارج القارة الأوربية.